الغزالي مُترجَمًا(*)

أ.د. محمد صبحى عيسى(**)

مقدمة:

كان الدافع الأساسى لاختيار هذا الموضوع هو ما أثاره فى نفسى مقال عن "أثر الغزالي فى الفكر الأوربى الحديث"، وكيف أن الكاتب حاول أن يتجنب استعمال كلمة «تأثير» مباشر. وآثر أن يكون التأثير من قبيل المصادفة أو من باب «وقع الحافر على الحافر» كما يقال[1]. ويمضى كاتب المقال فيعبر عن دهشته من أن تأثير الغزالي الذى توفي في (سنة ٥٠٥هـ - ١١١١م) لم يكن تشابهاً فكرياً مع من عاصره. بل كان مع مفكرين من العصر الحديث أمثال ديكارت (ت ١٦٥٠م). وباسكال (ت ١٦٦٢م) وسبينوزا (ت ١٦٧٧م) وكانت (ت ١٨٠٤م). وبعد عرض موجز لأوجه التشابه وأين يتم التلاقى. الذى يكاد يكون متطابقاً بين فكر الغزالى وبين

(*) قُدّم هذا البحث المبدئي فى إطار ندوة: «الفلسفة الإسلامية والحوار مع الغرب» والتى عقدت فى يوم الاثنين الموافق ٧ مايو ٢٠٠١م بمقر مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر.

(**) الأستاذ بجامعة ميتشغان - آن آربر - الولايات المتحدة الأمريكية.

(١) محمد عزيز الجبالي «إلى أي مدى أثر الغزالي فى الفكر الأوروبى» فى: أبوحامد الغزالي: دراسات فى فكره وعصره وتأثيره. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٩. الرباط ١٩٨٨م، ص ٢١٧/٢٤٠.

الفلاسفة المذكورين سالفاً، نجد الكاتب يقول: «قد يكون (التشابه) من باب «وقع الحافر على الحافر». لكن بعض المقارنات السابقة انتزعت نَفْي «الحافرين» وإن لم تمح نقطة الاستفهام «كيف تم تأثير أبي حامد الغزالي في الفكر الأوروبي» في حال تأكيد التأثير؟»[1].

وللإجابة عن ذلك السؤال يعتمد الكاتب في تسبيب التشابه على اثبات أن أعمال الغزالي كانت في متناول هؤلاء الفلاسفة المحدثون بلغات يعرفونها. كما يعتمد بطريقة موجزة على بحث الظروف التاريخية المحيطة بهم التي تساند فرضية امكان اطلاع أولئك الفلاسفة على تلك الأعمال مترجمةً. ومن ثم بدأ كاتب هذا البحث الاهتمام بترجمات الغزالي. وثمة دافع آخر للاهتمام بهذا الموضوع وهو مشاركتي في تحرير سلسلة الترجمات الإسلامية التي تصدرها جامعة بريجهام يانج BYU والتي صدر منها كتابان للغزالي هما «تهافت الفلاسفة» و«مشكاة الأنوار»[2].

الترجمات لماذا ؟

لاشك أن الترجمة تلعب دوراً بارزاً في حوار الثقافات والحضارات بين الأمم. فالتأثير أو التأثر الذي نحاول اثباته أو نفيه يعتمد الترجمة والعمل المترجم كدليل يستشهد من يبحث هذه الأمور. ولاشك كذلك في أن حركة الترجمة التي تمت بتشجيع وتمويل الخلافة الإسلامية في العصر العباسي والتي بدأت في أواخر القرن الثامن واستمرت خلال القرنين التاسع والعاشر الميلادي. كانت تشكل حواراً بين ثقافات سابقة وثقافة

(١) المرجع السابق. ص٢٣٨.

(٢) [illegible] عن الكتابين).

شابة متحفزة ومتفتحة ذات مبادئ دينية واتجاهات عقلية وخلقية تكسبها صبغة فكرية خاصة بها. وكان من نتيجة هذا الحوار أن تكوّن لدينا تراث إسلامي لا يمكن أن يوصف إلا بأنه تراث من المعرفة تشبع بالفكر الدينى الإسلامي وتغذى بما انتقل إليه من الثقافات الإنسانية السابقة. وعن طريق الترجمة كذلك دار حوار بين هذا التراث الإسلامي وبين ما لحقه من أجيال إسلامية وغير إسلامية نهلت من ينابيعه وتغذى عليها وأثمر لديها فكراً معاصراً. لا هو من قبيل الاستنساخ الشكلي المحض ولا هو فكر جديد خالص مبتدَع من لا شيء. ومثلما أثير السؤال من قبل عن الأسباب وراء اختيار المسلمين فى العصر العباسي لترجمة اعمال معينة فى فترات تاريخية معينة. قاموا فيها باختيار العديد من الأعمال الفلسفية والعلمية بينما لم يعنوا عناية كافية بترجمة الأعمال الأدبية الملحمية والدرامية. فإن السؤال يعترضنا الآن ويدعونا إلى أن نحاول الإجابة عنه فيما يتعلق بأي ترجمات يتم أو لا يتم من خلالها التحاور بين ثقافتين. وبما أننا نتحدث عن الغزالي، فلنضرب مثالاً على دور الترجمة فى الحوار بما قام به الغزالي نفسه من استخدام الأعمال الفلسفية المترجمة والاستناد إليها فى وضع كتابه «مقاصد الفلاسفة»[1] ومع أنه لم يقرأ الأعمال المترجمة عن الفلسفة اليونانية مباشرة إلا أنه قد تعرف على الافلاطونية الحديثة من خلال دراساه للفارابي وابن سينا على يد أستاذه أمام الحرمين الجويني[2]. وقد

(١) مونتجمري وات في دائرة المعارف الإسلامية، طبعة قرص الليزر - مادة الغزالي.

(٢) المرجع السابق.

قدم الغزالي فى كتابه «مقاصد الفلاسفة» عرضاً دقيقاً للأفكار الفلسفية دون أن يتعرض لها بأي نقد أو مناقشة. وبعد ذلك أجرى حواره مع الفلسفة فى كتابه «تهافت الفلاسفة» الذى أتم كتابته فى سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م الذى ربما يعد من أشهر أعماله فيما يتعلق بالجانب الفلسفي من تفكيره.

ينبغي عند دراسة وتحليل أي أعمال مترجمة أو في طريقها إلى الترجمة أن يتم ذلك فى إطار معرفي للظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية المصاحبة للقيام بالترجمة. إن هذه الظروف تتحكم فى اختيار العمل المترجم وطريقة الترجمة وإخراج العمل المترجم من حيث اشتماله على شروح أو تعليقات. ودراسة العمل المترجم ذاته قد تفضى بنا إلى إثارة عدة تساؤلات عن النص ذاته فى لغته الأصلية ومدى صحة نسبه إلى مؤلفه ومصداقيته ؛ وأسئلة عن المترجم وكفاءته من حيث إلمامه باللغتين (المترجم منها والمترجم إليها) وأمانته العلمية ومدى معرفته بموضوع النص الذى يترجمه حتى لا ينتج عن الترجمة إلا قاموس مفردات فى شكل سرد يضيع فى جوفه الرأى ويتعقد الموضوع. إذا أضفنا إلى ذلك أن ما نحن بصدده هنا هو موضوعات فلسفية وصوفية وعقائدية معقدة بطبيعتها فى لغتها الأصلية ذاتها. فالمترجم إذا يمثل سلطة ذات نفوذ قوي على النص الذى يترجمه. إذ أن القارئ لا يملك إلاّ أن يجهد ذهنه في فهم النص المترجَم والذى يمثل. بالنسبة له. الأصل الوحيد للفكرة التى يعرضها الكاتب والموضوع الذي يتناوله النص. ومن ثم نتبين خطورة عمل المترجم ومسئوليته أولاً عن ضرورة فهم العبارة التى يترجمها وثانياً عن مقدرته وأمانته فى نقلها إلى لغة أخرى. وبما أن العقول والقدرات الفكرية والعلمية

والاستيعاب اللغوى تتفاوت بتفاوت عقول البشر. فإننا لا يمكن أن نسلم بأن ترجمة واحدة لعمل ما تكفي.

ولا شك أن البُعد الزمني بين الكاتب والمترجم والاختلاف الثقافي بين بيئة الأصل المترجَم والترجمة تثير كذلك تساؤلات عدة لا داعى لإفاضة الحديث عنها هنا. ولهذا فإن أعمال الغزالي المؤلفة والمكتوبة في القرن الحادي عشر تُجسد في شكلها وأسلوبها ومفرداتها أسلوب العصر الذى كتبت فيه وسماته اللغوية وتتناسب مع ظروف القارئ المستهدف آنذاك وعقليته ومكونات ثقافته العامة أو الخاصة. وهذا بالطبع ينطبق على أي ظروف أخرى مشابهة.

وهذا يضيف مسئولية أكبر وأكثر تعقيداً على المترجم. وإذا عزمنا على دراسة ترجمات متأخرة فى البعد الزمانى والجغرافي والثقافي. فإننا عادة ما نهمل أخذ هذه الأمور بعين الاعتبار ويعرض علمه ومهارته وحساسيته لاختبار حاد وصعب. والأصعب من ذلك أنه عند نقد أي من تلك الترجمات المتفاوتة في البعدين الزماني والمكاني فإن الناقد لابد أن يكون ملماً باللغتين (المترجم منها والمترجم إليها) وكثيراً ما تختلف بل ربما تتباين وجهات النظر بين الناقد والمترجم.

وهناك مسألة أخرى يثيرها الحديث عن المترجِم ومهارته ومدى عمقه فى فهم النص واستيعابه موضوع العمل الذي يترجمه وهى أن الموضوعات الفلسفية والدينية التى تناولها الغزالى فى مؤلفاته هي نتاج عقلية لم تكن الكتابات العربية فقط هى مصدر معرفتها أو وسيلة تثقيفها. ومن ثم فإن المترجِم الذي يتعرض لترجمة مثل هذه الأعمال قد يتميز عمله بالدقة

ويحظى بالثقة إذا كان ملماً بلغات أخرى تتناسب مع مصادر النص المترجم ولا تقتصر على مجرد الطلاقة فى إجادة لغتين فقط (المترجم منها والمترجم إليها). ونلاحظ ذلك فى كثير من الترجمات العلمية الدقيقة التي ظهرت مؤخراً مذيلةً بفهارس للمفردات والمصطلحات بلغات أخرى غير لغتي الأصل والترجمة، وهي لغات ذات صلة وثيقة بموضوع النص المترجم[1]. ومن خلال مراجعاتي للترجمات الحديثة لعدد من الكتب في الفلسفة والطب والعلوم والتصوف لاحظت أن إلمام المترجم بلغات أخرى يساعده على إرجاع بعض المصطلحات في النص المترجَم إلى أصولها في اللغات الأخرى مما يلقي مزيداً من الضوء على المعنى ويساعد على فهمه أو تفسيره بطريقة أوضح.

نظرية تحليلية لبعض ترجمات أعمال الغزالى:

مع أن كتاب «تهافت الفلاسفة» لم يحظ بكثير من الاهتمام فى لغته الأصلية ولم يحفل به المشتغلون بالفلسفة من المسلمين فى القرون الأربعة

(١) نجد ذلك فى عمل فهارس باليونانية والعبرية إلى جانب العربية والانجليزية والفرنسية لبعض الكتب التى ستصدر عن سلسلة الترجمات الإسلامية/ العلمية التى تصدرها جامعة بريجهام يانج منها على سبيل المثال فصول في الطب لموسى بن ميمون وتعليقات ابن رشد على كتاب أرسطو "في النفس".

التالية لوفاة الغزالي (٥٠٥هـ/١١١م) [1] إلا أنه حظي بقدر كبير من الاهتمام به مترجماً كما سيأتي ذكره.

وقد انصب الاهتمام المبكر بترجمة أعمال الغزالي على الكتب المتعلقة بالفلسفة مثل «مقاصد الفلاسفة» و«تهافت الفلاسفة». ومن أقدم ما ترجم للغزالي هو كتاب «مقاصد الفلاسفة» الذى ترجم إلى اللاتينية سنة ١٢٠٢م بالإضافة إلى كتب الغزالي العديدة الأخرى التي أحيطت بعناية خاصة من مثقفي اليهود وأحبارهم.

ولعل الترجمات العبرية لأعمال الغزالي هي خير مثال يوضح ما سبق ذكره من أن اختيار أي عمل للترجمة يخضع لعوامل تاريخية وفكرية واجتماعية تحكم هذا الاختيار وتؤثر فيه كما تتأثر به.

---

(١) انظر: عبد الرحمن بدوى: أوهام حول الغزالي فى أبو حامد الغزالي دراسات فى فكره وعصره وتأثيره – الرباط ١٩٨٨، ص٢٤٢. وفي هذا المقال يذكر الدكتور بدوى عدداً من الكتاب المسلمين الذين لم يشيروا إلى التهافت فى أعمالهم، ومن بينهم السهروردي المقتول (ت ٥٨٧هـ/١٣٠٣م) والفخر الرازى (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) والشهرستاني (٥٤٨هـ/١١٥٣م) وعمر الكاتبى (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) وسعد الدين التفتازاني (ت ٧٥٦هـ/١٣٥٥م) – والمقال في جملته هو محاولة لرد شبهات القائلين بالتشابه بين آراء الغزالي وآراء الفلاسفة الأوروبيين من أمثال ديكارت وهيوم كما أشار إلى ما زعمه آسين بلاثيوس وغيره من تأثر الغزالي بالمسيحية فى تصوفه ومبادئه الأخلاقية.

ومن المعروف أن الترجمات العبرية عن العربية كانت شائعة بين اليهود الذين كانوا يعيشون بين مسلمي المغرب. ومن المقبول عقلياً أن تستهدف تلك الترجمة كتب الطب والرياضة وكتب الفلاسفة المسلمين التي تناولت العلوم اليونانية مثل أعمال الفارابي وابن سينا والكندي وابن طفيل وابن رشد وغيرهم[1]. لكن البعض اعتبر أنه من الغرابة أن يوجد في التراث اليهودي الأندلسي مؤلفات غزالية. وهي مؤلفات لبابها القرآن والسنة ومأثورات السلف الصالح[2]. ومع أنه من الصعب أن نرصد عدد المؤلفات التي ترجمت إلى العبرية، إذ كانت الترجمات تتم في غالب الأحيان استجابة لطلب شخص معين يدفع تكاليفها ويحتفظ بها لنفسه وربما أصابها التلف أو الضياع. إلا أن ما وصلنا ونشر من هذه الترجمات يكفي لإلقاء الضوء على أهمية مؤلفات الغزالي المترجمة إلى العبرية.

ومن بين ما ترجم إلى العبرية من هذه المؤلفات «مقاصد الفلاسفة» وقد ترجم ثلاث مرات خلال القرن الرابع عشر على يد اسحق البلاغ الذي علق عليه وعنونه بـ«تصحيح الآراء»، ويهودا ناتان بجنوب فرنسا الذى ترجمه مرتين وأبقى على عنوانه «مقاصد الفلاسفة». وقد أضاف المترجم شروحاً بالعامية وكان يبتعد أحياناً عن النص. وترجم كذلك على يد مجهول وهذه الترجمة هي التي اعتمدها موسى الزبوني شارح الغزالي في تعليقه على مقاصد الفلاسفة[3]. أما «تهافت الفلاسفة» فقد ترجم مرة واحدة وأنجز هذه

(١) محمد عزيز الجبالى ص٢٣٨

(٢) أحمد شحلان: الغزالي فى منظومة الفكر اليهودي. في: أبو حامد الغزالي: دراسات فى فكره وعصره. الرباط ١٩٨٨. ص ١٩٥ ومابعدها.

(٣) المرجع السابق ص ١٩٦ . وانظر قائمة مصادره وحواشيه.

الترجمة شرحاً هاليفى بن إسحق جروندي (ت ١٤٨٦م) وتُرجم الكثير من فقراته مراراً وذلك مع ترجمات «تهافت التهافت» الذى ترجم على الأقل ثلاث مرات[١].

وقد تُرجم كذلك كتاب «ميزان العمل» وأنجز ترجمته إبراهام بن حسداي بن صموئيل هلفي البرشلوني حوالى ١٢٣٥ – ١٢٤٠م، كما ترجم كتاب «مشكاة الأنوار» وقام بترجمته إسحق بن يوسف الفاسي ربما فى القرن الثالث عشر[٢].

وكان من الطبيعي أن تغدو هذه الترجمات نافذة يطل من خلالها اليهود إلى الفكر اليوناني كما عرفه العرب، بالإضافة إلى التعرض إلى علم الكلام والفكر الإسلامي والعلوم العربية على أوسع نطاق. وكان من الضروري أن يؤدي هذا إلى خلق ما كان يعرف بمشكل العقل والنقل والفلسفة والشريعة[٣]. وقد نتج عن هذا التعرض حدوث هزتين قويتين فى المجتمع اليهودي فى الغرب الإسلامي وجنوب فرنسا، الأولى بين سنوات ١٢٣٠–١٢٣٣م، والثانية بين سنوات ١٣٠٣–١٣٠٦م، انقسم فيها المجتمع اليهودى على نفسه وصدرت مراسيم باحراق التفاسير المجازية للتوارة وإدانة كل من يؤلف في الفلسفة أو يملك كتباً فيها. ومع تزايد حدة التيار المقاوم للعلوم الفلسفية والفلسفة الرشدية بشكل خاص، بحث اليهود عن أعمال جاهزة توفر لهم الحماية والوقت والمجهود العقلي، ومن ثم

(١) المرجع السابق ص ١٩٧
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٠
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٤

نشطت حركة ترجمة كتب الغزالي. ويرى الأستاذ أحمد شحلان أن السبب فى إقبال العلماء اليهود على ترجمة كتب الغزالي والتعليق عليه يرجع بالدرجة الأولى إلى أنها كانت تعكس الاتجاهات المتعددة التي تبنتها الأطراف المتصارعة في سنوات امتحان الطوائف اليهودية. فهذا إسحق البلاغ الرشدي النزعة يرى في كتاب «مقاصد الفلاسفة» أنه «كتاب سهل الفهم يستطيع بواسطته القارئ الذي لم يطلع إلا على القليل من الفلسفة أن يستوعب مضامينها. ولهذا فإني رأيت أن من الأفيد نقله إلى لغتنا»[1]. وهؤلاء بعض رافضة الفلسفة يجدون فى «تهافت الفلاسفة» ما يعبر عن آرائهم. وبالمثل فإن الموفقين بين الفلسفة والشريعة أو بين الشريعة والحجة والبرهان العقليين. يجدون في أعمال الغزالي ما يعبر عن وجهة نظرهم. فهذا مترجم كتاب «ميزان العمل» يصف الغزالي فى مقدمة ترجمته بأنه «... رجل حكيم مبرور. وعالم كبير مشهور له في كل علم باع. وفي كل فن قدرة ومستطاع. أنه أبو حامد الغزالي. وهو العالم الكبير أو الفيلسوف المفكر الذى لم يتأفف من أخذ الحجة والبرهان من كتبهم (أى المسلمين) الدينية. وأخبارهم التى ذكرها حكماؤهم[2]».

وهكذا يتضح أن الغزالي من خلال ترجماته كان عملة رائجة لدى اليهود لمدة تزيد على أربعة قرون. فاستخدموه وأقبلوا على ترجمة أعماله ليدعم كل فريق منهم رأيه ودعواه. وهذا يمثل. فيما يتعلق بموضوع هذا البحث. نموذجاً للدوافع والظروف التاريخية والاجتماعية والفكرية التي تؤثر على الترجمة وعلى اختيار الأعمال التي تترجم.

---

(١) المرجع السابق ص ٢/٢١١

(٢) المرجع السابق ص ٢١٢

ترجمات الغزالي فى العصر الحديث:

سأقتصر هنا على تحليل بعض العوامل والظروف المصاحبة لانجاز عدد من ترجمات كتب الغزالي إلى اللغة الإنجليزية وما واكب ذلك من دراسات حول الغزالي سواء فى شكل رسائل جامعية، أو مقالات في مجلات علمية متخصصة، أو فصول فى كتب أو تخصيص كتب بكاملها للبحث في موضوعات متعلقة بالغزالي مفكراً إسلامياً. ولعل أهم ما نمهد به لهذه الفقرات هو التنويه إلى سرعة وكثافة انتشار المسلمين فى بقاع كثيرة من العالم واستقرارهم بها، خاصة في الأمريكتين وفي الدول الأوروبية. لقد أضحى المسلمون جزءاً لا يمكن إغفاله فى نسيج المجتمعات الأوروبية والأمريكية. وأصبح من المألوف اليوم أن تطالعنا الاسماء العربية الإسلامية في كل مجال تقريباً من مجالات الحياة العامة فى العصر الحاضر. أضف إلى ذلك التواجد الإسلامي في دول بكاملها لا تتكلم العربية مثل الباكستان واندونيسيا وماليزيا وبأعداد تبلغ الملايين فى الهند والصين وجمهوريات أوروبا الشرقية (الاتحاد السوفييتى سابقاً).

ومع أن اللغة الإنجليزية ليست هى اللغة الرسمية لجمهور هؤلاء المسلمين، إلا أنها ربما كانت أكثر اللغات انتشاراً حتى بين من لا يستخدمونها كلغة رسمية. ولا يقتصر الأمر على إدراك حجم واعداد أولئك النازحين والمهاجرين إلى العالم الجديد والقادمين من مناطق إسلامية يحملون معهم إسلامهم وشعائرهم ويتمسكون بها ويحرصون على استمرار المحافظة عليها وتلقينها إلى أبنائهم؛ بل يجب أن نضيف إلى ذلك الأعداد المتزايدة لمن يدخلون الإسلام طوعاً في تلك المجتمعات ويحرصون بدورهم

على أن يزدادوا ثقافةً ووعياً بمبادئ الإسلام الأساسية وتعاليمه وأخلاقياته. ومن بين هذه الملايين المسلمة غير العربية أعداد كبيرة تنتمى إلى فئات المثقفين والمفكرين الذين هم فى بحث دائب عن أبعاد ذات عمق فكري ديني عقائدي وفلسفي في إطار الإسلام. لهذه الأسباب كلها أو بعضها نجد أن ترجمة الأعمال الفكرية الإسلامية الآن أصبحت ضرورة للاستجابة إلى هذه المستجدات على الساحة الفكرية الإسلامية وليست ترفاً قاصراً على خاصة الخاصة ممن تواتيهم فرص دراسة العربية والتبحر في عوالمها بدرجة تسمح لهم بقراءة وفهم أمهات الكتب الإسلامية بلغتها الأصلية.

وربما أثرت العوامل سالفة الذكر في توجيه نشاط الترجمة الإنجليزية نحو أعمال معينة للإمام الغزالي. وهى الأعمال التي تزود المسلم المثقف المفكر. أو المعتنى بدراسة الفكر الإسلامي والتعمق فيما وراء قواعد الإسلام الخمسة. نجد إصدار هذه الترجمات يتسم بشيء من التخفيف والتجزئة للأعمال الغزالية الكبيرة مثل كتاب «أحياء علوم الدين» مثلاً. فقد تم إصدار عدة فصول منه فى كتيبات مستقلة مثل: كتاب «القواعد» ترجمة القسيس أدوين كالفرى تحت عنوان Worship in Islam واشترك فى نشره قسم الدراسات الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة مع شركة لوزاك البريطانية عام ١٩٥٧م[1]. وبين سنتى ١٩٦٢م و١٩٩٠م نشرت سبعة أبواب أخرى

(١) اعتمدت فى تحليل موضوع الترجمات الانجليزية المعاصرة على القائمة التي أعدها كبير خان ونشرها تحت عنوان مختارات من الكتابات بقلم وعن الغزالي في اللغة الانجليزية A select Bibliography of Writing by and About Al-Ghazali in English وهو يقدم لهذه القائمة بفقرتين عن حياة [illegible]ي ويرى أنه لم يهمل ويعادى الفلسفة والفلاسفة بصفة عامة. ويقول

من الاحياء قام بترجمة ثلاثة منها نبيه فارس. وهى «قواعد العقائد» نشر سنة ١٩٦٣م؛ و«أسرار الطهارة» سنة ١٩٦٦م، ثم «أسرار الصوم» سنة ١٩٦٨م. أما الأربعة أبواب الأخرى فهى كما يلى: «كتاب الخوف والرجاء» ترجمة ويليام ماكينى سنة ١٩٦٢م؛ و«الرسالة القدسية» ترجمة عبد اللطيف الطيباوي ونشر عام ١٩٦٥م. وكتاب «آدب المعيشة وأخلاق النبوة» ترجمة زولوندك ونشر عام ١٩٦٣م، وأخيراً كتاب «الأذكار والدعوات» ترجمة ناكامورا ونشر عام ١٩٩٠م.

وقد ترجم ونشر كتاب «إحياء علوم الدين» كاملاً مرتين إحداهما على يد بانكى بيهاري فى انجلترا سنة ١٩٧٢م والأخرى قام بها فظْل (فضل) الكريم فى نيودلهى سنة ١٩٨٢م.

ومع أن بقية المؤلفات الأخرى للغزالي لم تحظ بما حظي به الأحياء. إلا أن ما ترجم من مؤلفاته الأخرى يدور فى معظمه حول الموضوعات التي يقبل عليها المسلم غير المتفلسف أو المتكلم. ومن هذه الأعمال: «الاقتصاد فى الاعتقاد» ترجمة عبد الرحمن أبو زيد ونشر فى لاهور سنة ١٩٧٠م؛ وكتاب «المقصد الأسنى فى أسماء اللّه الحسنى» وقد ترجم مرتين قام بالأولى: روبرت تشارلز ستادل ونشرت فى نيجيريا سنة ١٩٧٠م، بينما قام بالأخرى دكتور دوريل ونزيه ضاهر ونشرت فى لندن سنة ١٩٩٢م، ومنها كذلك كتاب «من هنا نعلم» ترجمة إسماعيل رجائى الفاروقى. ونشرت فى

أن الغزالي قد وضع ما يقرب من ٤٠٠ مؤلف إلا أنه اختار منها بعض ما ترجم إلى الانجليزية فقط. نشرت هذه القائمة في مجلة Islamic Culture، عدد أكتوبر ١٩٩٦م. حيدر آباد بالهند.

واشنطن العاصمة سنة ١٩٥٣م؛ وكتاب «مشكاة الأنوار» ترجمة و.هـ. ت. جيرونر. ونشر في نيودلهي سنة ١٩٨١م وكان قد نشر مرة سابقة في لاهور سنة ١٩٥٢م؛ وكتاب «المنقذ من الضلال» وقد ترجم ونشر مرتين الأولى في انجلترا سنة ١٩٥٣م. وقام بها كلودفيلد. والثانية نشرت في بوسطن سنة ١٩٨٠م وقام بها ر.ج. مكارثي.

وكما نلاحظ فإن الأعمال آنفة الذكر تدور كلها في فلك الأمور التعبدية أو التصوف. كما يلاحظ أيضاً أن الكثير من أسماء المترجمين وأماكن النشر يوحي باستهداف القارئ المسلم والاهتمام الإسلامي بالغزالي كمفكر مسلم مؤمن يستلهم القارئ من كتاباته قواعد السلوك والأخلاق والعبادات الإسلامية التي تزكي إيمانه وترتفع بعقيدته إلى درجة اسمى دون أن تثير في نفسه أو في فكره ما يمكن أن يثيره الجدل الفلسفي أو الكلامي. غير أننا لا نغفل أيضاً أن كتابَيْ «مقاصد الفلاسفة» و«تهافت الفلاسفة» قد ترجما كذلك إلى الانجليزية وصدر أولهما في تورنتو (كندا) سنة ١٩٣٣م ترجمة ج. موكلي. وصدر الآخر في لاهور سنة ١٩٥٨م بترجمة أحمد كمالي ويلاحظ أن كتاب التهافت قد تولت إصداره الجمعية الفلسفية الباكستانية.

وقد صاحب حركة الترجمات الانجليزية هاته صدور عدد من الكتب والرسائل الجامعية والمقالات تناولت تحليل وإجراء دراسة مقارنة للفكر الغزالي بلغ عددها سبعة عشر كتاباً واثنتين وعشرين رسالة جامعية. من بينها اثنتا عشرة رسالة في جامعة ادنبره وحدها. واثنتين وثلاثين مقالة موزعة بين المجلات المتخصصة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي. وتعكس اسماء الكتاب والباحثين وعناوين المقالات والكتب والرسائل تزايد اهتمام المسلمين المعاصرين أنفسهم بهذا النوع من الدراسة وازدياد دراسة وتحليل

الموضوعات الإسلامية كما عرضها الغزالي في أعماله غير الجدلية أو الفلسفية والكتابة عنها باللغة الانجليزية. ويمكن أن نستنتج من هذا أن تقديم الغزالي والتعريف به وبأعماله وآرائه مترجماً إلى الإنجليزية فى العصر الحديث يعكس الاستجابة لحاجة القارئ المثقف المسلم والدارس غير المسلم للإسلام بلغة غير اللغة العربية. وهي في هذه الحالة اللغة الانجليزية. ويمكن أن نقول بلا تردد أن ما ينطبق على اللغة الانجليزية هنا قد ينطبق على اللغة الفرنسية والالمانية وربما الاسبانية والروسية وبدرجة أكبر أو أقل على اللغات الإسلامية الأخرى كالفارسية والأوردبية والماليزية والاندونيسية وغيرها.

واليوم ونحن نحتفى بصدور طبعات لترجمات انجليزية جديدة لكتابين من كتب الغزالي «تهافت الفلاسفة» و«مشكاة الأنوار»[1] كجزء من ندوتنا هذه لا نملك إلاَ أن نثير التساؤل مرة أخرى: لماذا ترجمة أخرى ولماذا هذه الأعمال بالذات؟ ومن هو المترجم؟ وما هو أسلوب الترجمة هل هو عصري يسهل فهمه على القارئ المتعلم غير المتخصص أم ينتمى بأسلوبه ومفرداته إلى عصور سابقة و... و... إلخ؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة تحتاج إلى بداية بحث جديد، لكنني أكتفي الآن بالقول إنه: ربما تحمل كلمة الدكتور دان بيترسون من جامعة بريجهام يانج إجابة جدُّ جزئية عن هذه الأسئلة. فقد قال: «إن الذي دفعه إلى التفكير في نشر هذه الأعمال هو تقريب الفكر الإسلامي إلى القارئ باللغة

(١) صدر كتاب «تهافت الفلاسفة» سنة ١٩٩٧م بترجمة مايكل مرمورا ثم اعيد طبعه سنة ٢٠٠٠م بعد إجراء بعض التصحيحات على النص العربى.

الانجليزية غير المتخصص». وذلك إيماناً منه بأن تيسير قراءة هذه الأعمال وإتاحة الفرصة لاقتنائها يعد أفضل وسائل التعارف على عقلية الآخر وتفهم خلفيته وتراثه الثقافي. والآخر هنا هو المسلم بالمعنى العام الذى شوهته ولا تزال تسئ إليه العقلية الغربية من خلال وسائل الإعلام غير المستنيرة. وأضيف إلى ذلك أن إصدار هذه الكتب في طبعات مزدوجة اللغة إنما يخدم أيضاً القارئ العربي ويتيح له الإلمام بالأسلوب الإنجليزي في التعبير عن تلك الأفكار إما كنشاط تحصيلي تعليمي أو كنوع من الأثراء اللغوي والثقافي بصفة عامة.

وختاماً فإني أشكر كل من ساهم في تنظيم وتنفيذ هذه الندوة وكل الزملاء الذين شاركوا فى البحوث والمداخلات التي استفدت منها أيما استفادة. أسأل اللّه أن يديم هذه اللقاءات وأن يلهمنا الاستفادة منها وأن يجعل كلا منها مناسبة تقارب بيننا فى طريق اللّه اخوانا.